هوامش

يُظهر سليمان جمعة الذي تهجّر إلى ريف حلب الشمالي حنينه إلى مسقط رأسه دمشق عبر تنفيذ مجسمات فنية لبيوتها القديمة، ويعبّر عن آلام الحرب التي لا يشعر بها إلّا من ذاقها

تعكس مجسّمات البيوت الدمشقية الحرفية العالية (عدنان الإمام)

سليمان جمعة

مجسّمات البيوت الدمشقية... شوق وحنين

إسطنبول ـ **ميس عبد الحميد**

يدفع الشوق والحنين إلى دمشق وحاراتها القديمة سليمان جمعة الذي وُلد في العاصمة دمشق ويبلغ الـ47 من العمر، ويعيش حالياً في مدينة إعزاز بريف حلب الشمالي بعدما تهجّر من الغوطة الشرقية، إلى تجسيد مجسّمات كرتونية مصغرة للبيوت الدمشقية العريقة التي ترمز إلى التراث الشعبي لأبناء سورية عامة والعاصمة دمشق خاصة. والحقيقة أن هذه البيوت تشكل الحياة كلها لأشخاص كثيرين عاشوا في كنفها، وعرفوا دفء مشاعر غرفها الواسعة والمتعددة، وساحاتها المليئة بأجمل المزروعات وأشجار النارنج والياسمين التي يملأ عطرها المكان، وقد تتوسط بعضها أحياناً بحرة داخلها شلال من الماء العذب.

يقول جمعة لـ«العربي الجديد»: «فكرت بعد سنوات من التهجير باسترجاع هذه الذكريات والشوق للبيئة التي وُلدت فيها وبت حالياً بعيداً مسافات طويلة عنها لكنها لا تزال محفورة في قلبي. وكان هدفي الرئيسي أن أعيد إحياء حضارة وتراث وثقافة دمشق كي تبقى في الأذهان، وتعرفها الأجيال المقبلة، فصنعت مجسّمات لبيوت دمشقية مع الاهتمام بنقل كل تفاصيلها». يتابع: «أثرّ عملي السابق في ترميم البيوت القديمة والمعالم الأثرية بدمشق على إنجاز المجسّمات، فأنا أدرك وأفهم أهمية كل حجر في البيوت. وقبل الثورة السورية، شاركت في ترميم أماكن أثرّية مهمة عدة، مثل قصر العظم ومتحف الخط العربي ومتحف الطب والعلوم والمكتبة الظاهرية والمدرسة العادلية». ويشرح أنه استعمل في مجسّماته الورق والكرتون ومواد لاصقة صنعها بنفسه من الطحين والسكر، بسبب ضيق الحال وقلة المواد والأدوات اللازمة لصنع المجسّمات، كما استعمل الفلين والخشب في مجسّمات أخرى، ويوضح أنه لم يستعمل الألوان في البداية، واستبدلها بكرتون ملوّن وعلب بسكويت وأشياء أخرى، ثم طوّر الألوان وأدخل الإنارة، وأضاف الأعشاب والمزروعات الطبيعية بعد تجفيفها وإعدادها كي تظهر المجسّمات طبيعية بأقصى حدّ ممكن.

ويشير إلى أن حجم أكبر مجسم بطول 50 سنتيمتراً وعرض 70 سنتيمتراً، والأصغر بطول 30 سنتيمتراً وبنفس العرض، وأن إنجاز كل مجسّم يحتاج ما بين خمسة وستة أشهر. ويبدي جمعة اعتزازه بأن مجسّماته اعتبرت الحرفة الأولى من نوعها في المعارض التي شارك فيها في الشمال السوري الخاضع لسيطرة المعارضة، ويقول: «مثّلت دمشق في أحد المعارض، وشاركت بأربع مجسّمات شرحت تفاصيل إنجازها للزوار، وما تحمله من قصص ومعانٍ وذكريات، كما تبادلت معهم الأحاديث عن إمكانية توسيع وتطوير المجسّمات لتشمل أهم المعالم الأثرية والحضارية في سورية». يضيف: «شاركت أيضاً بمعرض عنبر المجتمعي في عفرين، ومعرض التراث والثقافة الذي نظمته المجالس المحلية، كما دُعيت للمشاركة في معرض بمدينتي إدلب وإعزاز، لكنني لم أحضرها بسبب ظروف خاصة». ويأمل جمعة في تطوير مشروع المجسّمات وتوسيع ورشته وتنفيذ مشاريع تسمح له بالمشاركة في مجالات مختلفة وإنجاز تصاميم متطورة لنواعير حماه، وقلعة حلب، وحدائق وآثار تجسّد تراث كل منطقة في سورية، وأيضاً في صنع وسائل تعليمية تخدم كل المراحل الدراسية. و«ربما يدعم ذلك المدخول المادي لعائلتي المؤلفة من سبعة أشخاص بينهم شابان يتابعان التحصيل العلمي في الجامعة، وأحاول أن أوفر أقساط تعليمهما. ويدفعني ما تمر به منطقة الشمال السوري من اكتظاظ سكاني وقلّة فرص العمل التي تجعل المداخيل لا تتناسب مع المصاريف الكبيرة المرتبطة بارتفاع الأسعار وإيجارات البيوت، إلى إيجاد مصادر أخرى للدخل من أجل التغلّب على أزماتي».

وكان لافتاً في المعارض التي شارك فيها جمعة اهتمام كثير من أبناء مناطق شمال سورية برؤية المجسّمات وتفحصها عن قرب. ويقول المهندس رأفت عثمان الذي زار معرض عفرين لـ«العربي الجديد»: «كانت مجسّمات بيوت دمشق القديمة التي نفذها جمعة أكثر ما لفت نظر زوار المعرض بسبب الحرفية العالية في إنجازها بشكل فني مدهش وتصميم هندسي دقيق عكس كل تفاصيل البيوت الدمشقية». أما محمد مرعياني الذي حضر حفلة نظمها مركز «عنبر» المجتمعي في مدينة إدلب أخيراً لتكريم سليمان جمعة فيقول لـ«العربي الجديد»: «لا تشكل مجسّمات البيوت الدمشقية التي ينفذها جمعة جزءاً من الذاكرة الثقافية لأهالي دمشق وحدهم، بل جزءاً من الذاكرة الجماعية لجميع السوريين وعرب كثيرين ألفوا البيوت الدمشقية التي تظهر في مسلسلات الدراما السورية التي غزت الوطن العربي».

باختصار

استعمل جمعة في مجسّماته الورق والكرتون، وأضاف الأعشاب والمزروعات الطبيعية بعد تجفيفها وإعدادها كي تظهر طبيعية بأقصى حدّ

■■■

كان لافتاً في المعارض التي شارك فيها جمعة اهتمام كثير من أبناء مناطق شمال سورية برؤية المجسّمات وتفحصها عن قرب

■■■

يريد جمعة توسيع وتطوير المجسّمات لتشمل أهم المعالم الأثرية والحضارية في سورية

وأخيراً

سوء الحظ السوري

رشا عمران

تداول السوريون قبل أيام على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي مقاطع من حفل تكريم نقابة الفنانين السوريين في دمشق روّادا في الفن ممن ما زالوا في سورية على قيد الحياة، منهم ممثلون ومغنّون أحالهم التقدم في السن إلى التقاعد بعد سنوات طويلة من العطاء شكّلوا فيها ملامح الفن السوري، السينمائي والتلفزيوني، في المرحلة التي سبقت ظهور شركات إنتاج الدراما التلفزيونية مع بدايات القرن الحالي، والتي كانت ترتبط بشكل غير مباشر بدائرة النظام الأمنية والاقتصادية، حيث كانت تلك الشركات مملوكة لأبناء الدائرة الضيّقة التي كانت تحيط بالرئيس الأسبق حافظ الأسد، والذين أحاطوا بوريثه بشّار بعده. ويمكن القول إن شركات الإنتاج تلك كانت واحدة من طرق تبييض أموال الفساد، رغم أنها ساهمت في دعم الدراما السورية (السيناريو والإخراج والديكور والتمثيل والموسيقى التصويرية)، وكسرت الاحتكارين الخليجي والمصري، وقتها، لهذا النوع من الفنون، وتخفّفت من القيود المفروضة على الدراما لصالح الجرأة في المواضيع المقدّمة والجرأة في الحوار والإخراج والتمثيل، ما ساعد صنّاع الدراما السورية على التنافس والتجاوز، وهذه نقاط تُحسب لتلك الشركات، وكان يمكن أن تصل بالدراما السورية إلى مستوياتٍ غير مسبوقة عربيا، لولا أن الثورة السورية كشفت حقيقتها، حين عاقبت صنّاع الدراما ممن أبدوا موقفا متحفّظا من الحل الأمني الذي اعتمده النظام لقمع الاحتجاجات، عبر إجبارهم على التراجع عن موقفهم وتقديم الاعتذار العلني أو الحرمان من العمل. وهو ما جعل أصحاب المواقف المبدئية منهم يغادرون سورية لاحقا إلى غير رجعة. وبالعودة إلى حفل تكريم رواد الفن السوري، تثير الصور التي انتشرت في النفس شعورا سيئا وغير إنساني تجاه هؤلاء الفنانين الكبار، هو شعور الشفقة مما وصلت إليه أحوالهم. وليس القصد هنا، طبعا، تقدمهم في السن، فهذه طبيعة الحياة، وإنما القصد البؤس الذي تبدو عليه هيئاتهم، هناك انكسار يظهر بوضوح في نظرات عيونهم المطفأة، هناك قهرٌ لا يُخفي نفسه يبدو جليا في حضورهم وحركاتهم، هناك بؤسٌ شديد الوضوح يظهر في ثيابهم وأحذيتهم ومظهرهم العام. وهذا أمر بالغ السوء، أن يجد أحدُنا نفسه يشعر بالشفقة على فنانين يفترض أن تُصان كرامتهم، وتُصان شيخوختهم، وتُصان تواريخهم وأسماؤهم، وأن يتم تكريمهم بغير هذه الطريقة الاستعراضية بإحضارهم إلى نقابة الفنانين (بعضهم لا يقدر حتى على المشي) ويتم منحهم شهادات يعلقونها على جدران منازلهم، بدلاً من أن تخصّص لهم معاشات شهرية تكفي احتياجاتهم، وقد سبق لمعظمهم أن تحدثوا عن أوضاعهم المادية المزرية، وعن تجاهل شركات الإنتاج لهم، مع أن كثيرين منهم ما زالوا قادرين على العمل والعطاء. ليس خافيا أن خطوة نقابة الفنانين هذه جاءت ردّا على التكريم السعودي للفنانة السورية منى واصف (تحتكر التكريم في سورية وخارجها). وللأسف، شتان بين التكريمين، فبينما كُرّمت منى واصف بحضور عالمي وباستقبال يليق بتاريخها الطويل والعريق، ظهر زملاؤها في نقابة الفنانين في مظهرٍ بائس ومحزن على كل المستويات، مع أن بعضهم لا يقلّ في الأهمية الفنية عنها. ونذكر في هذا المقام الفنان أديب قدورة صاحب التاريخ الفني السينمائي العريق والمتميز، ولا يزال فيلمه الفهد (إخراج الراحل نبيل المالح عن رواية بالاسم نفسه للراحل حيدر حيدر) علامة فارقة في السينما السورية، لا بسبب المشاهد الجريئة لبطلي الفيلم قدورة وإغراء التي حظي الفيلم بشهرة شعبية بسببها، بل لقيمته الفنية والتاريخية ولقدرة نبيل المالح على إخراج الطاقة الكامنة في أبطال الفيلم ليظهر تحفةً لم تتكرّر كثيرا في السينما السورية، وشاهدا على زمن تلازم الحرية والفن قبل أن يبدأ نظام الأسد في فرض قيوده الرقابية السياسية والاجتماعية على كل مناحي الحياة. وعلى ذكر إغراء، ما زالت تحتفظ بجمالها الباهر رغم مرور السنوات عليها (79 عاما)، ورغم أن الملابس التي ظهرت بها لا تليق بجمالها، لكنها تصلح لتكون أيقونة جمالٍ لا تقل عن جميلات السينما في العالم، الجمال الطبيعي الذي لم تقترب منه مشارط الجراحة التجميلية. لكنها، كغالبية السوريين، وقع عليها سوء حظ كما وقع على الجميع، أو هي لعنة آل الأسد التي دفنت كل الجمال السوري، في البشر وفي الفنون وفي الطبيعة، لم ينج منها حتى الذين خرجوا من سورية منذ زمن.

> تثير صور تكريم الفنانين السوريين في دمشق في النفس شعوراً سيئاً وغير إنساني تجاه هؤلاء الفنانين الكبار، هو الشفقة مما وصلت إليه أحوالهم

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**